تاريخ استقبال المقال: 01 /2016/05 تاريخ قبول نشر المقال:06/ 2017/12 تاريخ نشر المقال: 01/ 2018/03

الثقافة كعرش للطقوس :

طقس الاضحية كدراسة بمدينة معسكر –الجزائر-

أ.بتول قاسمي/جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر – الجزائر.

أ.د. طيبي غماري جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر – الجزائر.

kasmibatoul@yahoo.fr

الملخص:

تقوم دراسة هذا الموضوع على قراءة تتشكل من ان المجتمع ينطلق من موروث ثقافي يتضمن عدة ممارسات طقوسية ؛ بمعنى اخر تكتسي هذه الثقافة داخل عرشها و في طياتها مجموعة من الانظمة والأنساق المتفق عليها بالعرف السائد ، ما يخلق منها جبروتا من الرموز ، الايماءات ، الحركات ، و السلوكات ، وحتى اللغة المستعملة.....و غيرها ، ومن هذا المنطلق التحليلي سيتم التطرق الى مقاربة سوسيولوجية لرصد اهم العادات والتقاليد المصاحبة لطقس الاضحية ميدانيا مع عينة تتضمن عشر(10) مبحوثين تم استجوابهم بتقنية المقابلة الشفوية، و بعد تدوين بعض المعلومات بتقنية الملاحظة بالمشاركة ، بالأخص في المجتمع الجزائري ، وتحديدا بما هو معروف من العادات الموروثة عبر الاجيال عند سكان منطقة معسكر .

الكلمات المفتاحية: الطقس ، الاضحية ، الثقافة.

The culture as a Throne of ritual: Sacrifice's Rite as study in Mascara City – Algeria-

Abstract:

The study of this subject gets up on the Read that see the society stems from the cultural heritage includes several ritual practices; In other words, this culture include within her throne a set of Systems and formats Known as prevailing custom,What creates from it an authority of symbols, gestures, movements, behaviors, and even the language used..... and others, from this analytical perspective we set off in a sociological approach to monitor the most important customs and traditions accompaniment with the Odhiya 's (sacrifice's) rite in reality through a sample containing ten (10) respondents were questioned oral interview technique, After the codification of some of the information by the technique of participant observation, Especially in Algerian society, Specifically by What is known as the habits inherited from one generation to another generation when at mascara area residents.

Keywords: Rite , Sacrifice , Cultural.

المقدمة:

يأمل المجتمع المعاصر ككل و الفرد على وجه الخصوص بتحريره من كل قيود المخلفات السلبية التي تعيق تقدمه او تقف امام طموحه ومصالحه ؛ وعليه كان عنصر " الثقافة " على وجه العموم ، و لازال على مر العصور ملازما للبشرية و التي هي بدورها كانت كالحمل الوديع معه من جيل لجيل.

لقد اصبح و استقر مصطلح « الثقافة » اليوم كمفهوم معاش مع العمل دنيوي في ظل سياق ثقافي تراكمي ، يعاد إنتاجه على واقع مختلف ومتنوع في ظل التحولات الكبرى التي نعيشها وعلى جميع الاصعدة ، وتحول حسب متطلبات الحياة الفردية و المصلحة الاجتماعية ، من ثم اصبح يدل على منظومة من الخبرات انتجتها جماعة من الجماعات البشرية ، تتجلى فيها طريقة معينة في الحياة ، كونها تشمل الموضوعات المحددة من : القيم والمعارف والتصورات والعادات والأعراف والتنظيمات ، والتعبيرات الفنية ، وأساليب العمل والإنتاج وأدواته وعلاقات الافراد ببعضهم البعض، وأي قدرات أخرى يكتسبها الفرد بوصفه عضواً في المجتمع. وقد يترتب على هذا إقامة واقع ميداني خاص من خبرات جماعة ما بأنشطتها المعتادة ، و إنجازاتها تقنية مع ابتكار أدوات ومعدات متنوعة في تنفيذ و إنتاج مُتطلباتها وسد حاجاتها ؛ فضلاً عما تكيفه من وسائل توظفها في أغراض وإقامة الطقوس ؛ و نقصد هنا ممارسة القيم والمعارف والتصورات والعادات والأعراف ، وتنظيمها بين الأفراد والجماعة ، وبين الجماعة والجماعات الأخرى ، وأشكال التعبيرات الجمالية والفنية المتنوعة. وبالتالي الواقع المعيشي يُبين أن «الثقافة » هي ذلك الكل المتكامل فيه الملموس و المعنوي، المُجسد والروحي والغالب، وكأنه بمثابة الروح للجسد يحقق وجوده بواسطة الطقوس و الممارسات.

تعد مسألة تصنيف ودراسة الموروث الثقافي من المسائل المطروحة بشدة ، خاصة إذا تعلق الأمر بالمادة التراثية التي عانت التهميش والإهمال ولا تزال حتى اليوم بسبب فكر هو في واقع الأمر نتاج استراتيجية استعمارية ، الهدف منها تحقير الثقافات الأصلية للشعوب ، وجعل حامليها عرضة للشعور بالنقص أمام الثقافات الأخرى ، نستثني منها بعض الجهود العلمية الموضوعية التي اهتمت بهذا المجال ، محاولة لفت الانتباه إلى تكاثف كل جهود المختصين في الأدب ، علم الإجتماع ، الأنثروبولوجيا وعلم النفس وغيرها من العلوم الإنسانية و الإجتماعية .

تتمثل هذه المحاولة في جمع وتصنيف ودراسة الموروث الثقافي يستحق الإهتمام والعناية لكونه جزء لا يتجزأ من المجتمع ككل، إضافة إلى انه يكشف عن هويتها الحضارية، من بينها ما هو متعلق بالمادة التراثية الثقافية الجزائرية التي تحتاج إلى جمع وتصنيف ودراسة؛ خاصة أنها بحكم الظروف التاريخية التي مرّت بمنتجيها وحامليها فرضت نوعا من التفاعل تعايشت فيها ألوانا مختلفة تتمثل في عناصر تراثية متباينة منها التقليدي ومنها الحديث.

و على سبيل الذكر كل مجتمع له خصوصية ثقافية من المجتمعات العربية، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص يتميز بموروث خاص من الممارسات والقيم والمعارف و الطقوس منه طقس الاضحية ، كما انه يحمل ممارسات تتجلى في الاحتفالات المصاحبة له، وعليه نرى تأخرا في بعض الدراسات والاهتمام بهذا النوع من البحوث، والذي يرجعه البعض من الباحثين في عدم تمكنهم من ملامسته و مجاراة الواقع ، وعليه بقي الخوض فيه نوعا ما رماديا وضبابيا بعض الشيء.

ان ما استأنف عرضه والتنويه عنه آنيا يحتاج الى تقديم الموضوع كدراسة ميدانية بمنظور سوسيولوجي للخوض في غمار الدراسة ، وما يجعل في نفس الوقت طرح الاشكالية للتعرف عن أشكال الممارسات و الطقوس اليومية المصاحبة للطقس الاضحية ؛ و ذلك بغية معرفة اهم نقاط تغيرات هذا الطقس في المجتمع بالضبط بمدينة معسكر الواقعة بغرب الجزائر مع تبيان المورث الثقافي لهذا الطقس من خلال العادات و التقاليد .

وعليه السؤال المطروح يكون على هذا النحو التالي : ما هي الممارسات الاحتفالية التي تصاحب طقس الاضحية في المجتمع الجزائري ليبقى كموروث ثقافي بين الاجيال ؟ بمعنى اخر عام لفهم السؤال اكثر وضوحا : ما هي أهمية الثقافة من حيث ارتباطها بالممارسات الطقوسية ؟ وكيف يتم قراءة ذلك في مخيال الجماعي؟.

الفرضية:

يعتبر طقس الاضحية من الممارسات الثقافية في المجتمع الجزائري.

و عليه يمكننا من خلال هذه الاجابة المؤقتة ان نحدد **أجرأ للمفاهيم** التالية:

أ- **الطُقُسّ أو الطقوس Le Rite** : هي نظام وترتيب من الممارسات ، **اما طُقْسِيٌّ** : كُلُّ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بشعِيرَة liturgieأو طريقة دينيّة ؛ اي ممارسات طقسيَّة . أما الطُقس الديني فهو عبادة تقوم بها مجموعة ما طبقاً لتقاليدهم المعينة. هذه الطقوس تطورت من طقوس عبادة إلى مظاهر فنية مستقلة، ففي المسيحية تستخدم الكلمة اليونانية " liturgies" للإشارة إلى الطقوس الدينية باختلافها ، ولا يشترط توحيدها بين المناطق والطوائف الأخرى بل هي مختلفة باختلاف الثقافات والطقوس [1] ؛ لكن ما هو مهم وما يجب الاشارة اليه هنا ان هذه الكلمة بمعناها الحديث لا تنحصر في المجال الديني فقط ،انما تتعداه لتشمل جوانب اخرى في توظفيها على سبيل الذكر : احتساء وشرب كوب من القهوة يوميا او بعض الحركات والعادات أو السلوكيات الخاصة يعتبر بحد ذاته طقسا من الطقوس المتجددة والمتكررة يوميا.

وعليه ان الطقوس (ritual) : هي مجموعة من الإجراءات التي يؤديها بعض الأشخاص، والتي تُقام أساسًا لقيمتها الرمزية ، وقد يحدد تلك الطقوس أو المراسيم تراث الجماعة المشتركة ، بما في ذلك المجتمعات الدينية. قد تبدو من الخارج أنها غير حكيمة، أو متنافرة، أو غير منطقية . و قد تقام الطقوس في بعض المناسبات الخاصة ، أو تحت طلب الأفراد أو المجتمعات[2].

كما يمكن ان تؤدى الطقوس بشخصٌ واحدٌ أو مجموعة من الأشخاص ، أو مجتمعٌ بأكمله في أماكن محددة ، أو في أماكن محجوزة مخصصة لذلك ، سواء في الأماكن العامة، أو الخاصة ، أو من قبل أشخاص معينين تقام للعديد من الأغراض على سبيل المثال : المناسبات الدينية لتعزيز الروابط الاجتماعية أو كدليل على الاحترام و الطاعة، أو دليل على انتماء الفرد للجماعة ، كما انها تمتد أيضًا لتشمل طقوس العبور في بعض المجتمعات مثل : طقوس الكفارة ، طقوس التطهير، شعائر الولاء ، مراسم التتويج ، والافتتاحات الرئاسية، و مراسم الزواج ، و الجنازات..... وغيرها وسنأتي بالذكر في حين لطقس الاضحية كإحدى النماذج منها.

ب- **الاضحية Sacrifice** : هي عامة كل ما يذبح من الحيوانات أو هو ذبح حيوان بنية التقرب إلى المعبود في وقت ومكان محدد ، مثلما ما يُذبح عند المسلمين من أيام عيد الأضحى، وهي من شعائر الإسلام المشروعة التي أجمع عليها المسلمين. ، أصلها مستمد من قصة النبي ابراهيم ، حين رأى في منامه بأنه يذبح ابنه اسماعيل ، فاستشاره وأُستبدل الذبح بكبش كأضحية على ذلك و سنوضح ذلك لاحقا. لكن لها توظيف متعدد اخر قد يكون بشري أو حيواني .

ومن ممكن هي الاخرى ان تحول إلى هبة مقدمة بالمعنى العام لها ؛ تعمل عمل الوسيط كإقامة علاقة بين الإنسان والإله لضمان الإتصال، تكون معبئة بالآثام ، و كأنها صاحبة الجريمة توضع في حالة نَفَقَهَا (اي موتها) وتحيطها مجموعة من القرابين أخرى كهبة مثل: المشروبات، الخضروات ...و ما شبه ، ولتكملة الوضع النهائي لها تأخذ صفة القداسة[3] وسيبين لنا الميدان صحة هذا القول.

ت- **الثقافة Culture:** هي ذلك الكل الذي يشمل الموروثات عن الأجداد ، بحيث إن انتقال ذلك التراث في مجموعة بشرية يضمن دوام هويتها، ويقصد بها ذلك التراث الفكري الذي تتميز به جميع الامم عن بعضها البعض. أو هي مجموع الممارسات والتمثلات والتعابير والمعارف والمهارات والفضاءات الثقافية المرتبطة ببعضها والتي تعترف بها الجماعات ، وإذا اقتضى الحال الفرد باعتباره جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي ينتقل من جيل إلى جيل، ويقع بعثه من جديد من قبل الجماعات طبقا لبيئتهم وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم، وهو يعطيهم الشعور بالهوية والاستمرارية، بما يساهم في تطوير احترام التنوع الثقافي والإبداع الإنساني[4]. كما انها تحدد سلوكهم و تصوارتهم الشخصية لأنفسهم ، و ادراك العالم من حولهم ، كما انها تعتبر نمو تراكمي على المدى الطويل ليست علما او معرفة جاهزة ، بل هي تجمع عبر مراحل طويلة من الزمن .

الاطار الميداني التقني للدراسة :

ان قراءة الموضوع بدلالة و صيغة اجتماعية ؛ بمعنى تحليلي لمقاربة سوسيولوجية ، يعطينا فهم لبعض الممارسات الثقافية للمجتمع الجزائري و ذلك باستنطاق الواقع الميداني من خلال المبحوثين أو العينة المدروسة، وبالتالي كان واجبا ان نسطر اهم الاهداف الاساسية للدراسة من:

- ✓رصد اهم الممارسات المصاحبة لهذا الطقس في المجتمع الجزائري؛ بتبيان الموروث الثقافي لهذا الطقس والمتوارث بين الاجيال .
- ✓قراءة الموضوع قراءة موضوعية من العام الى الخاص ، وذلك باستنطاق واقع بعض الممارسات واسقاطها على المحور المدروس .
- ✓تحليل الجانب النظري و مقاربته ميدانيا .
- ✓تبيان أهمية التراث المادي واللامادي في الحفاظ على ذاكرة المجتمعات وهويتها بإبراز الخصوصية الثقافية للمنطقة المدروسة .

وعليه تم تحديد عناصر الدراسة مع مجموعة من الباحثين من كلا الجنسين(ذكور وإناث) باختلاف اعمارهم ، و بالضبط سكان مدينة معسكر بغرب الجزائر على نحو عشر(10) مبحوثين، حيث ان مجتمع البحث يعد كعينة شاملة ويكون كل فرد في المجتمع مصدرا للمعلومات ، مما اتاح لنا هذا المجال الحصول على معلومات أكثر دقة وشمولية. ، والذي كان مستهدفا بقياس عشوائي للأفراد المقيمين بها.

اول اداة وتقنية في البحث الميداني والتي اججت النظرة الموضوعية للبحث هي" **الملاحظة بالمشاركة**" كأهم اداة في تسجيل و تدوين العناوين اللازمة . او كما يطلق عليها العلماء مصطلح (التدخل الوظيفي) [5] ، حيث ان الباحث في بداية دراسته الميدانية يواجه مشكلة الدور الذي يجب أن يؤديه في مجتمع الدراسة للحصول على البيانات والمعلومات الصحيحة، وان يستخدم في حديثه مع الافراد لغتهم المحلية، وان يدرس جوانب الحياة الاجتماعية كلها لفهم البناء الاجتماعى وتحديد وظائفه. ولابد من توفر نوع معين من الشخصيه والمزاج فبعض الناس لايستطيعون تحمل مشاق المساءلة ،مع التخلى عن قيمنا وثقافتنا بقدر المستطاع حتى نتمكن من تحقيق الملاحظه الموضوعية ونستطيع وصف ذلك البناء وتحليله.

وبالطبع لا ننسى هنا "**المقابلة**" كتقنية ثانية و كطريقة تؤدي للكشف عن الحقيقة في العلوم والتي كانت معتبرة مع عدد من الأشخاص في هذه المدينة ، ومن احياء متعددة ؛ مما اعطى لهذا التواصل مع المبحوثين ميزة خاصة في جمع المعلومات و تفسير بعض من الامور الغير الواضحة و المبهمة .

آسطرة الذاكرة الجماعية :

تأتي الثقافة هنا بدورها كاسحة مجال كل منظومة من الخبرات التي حصلتها الحياة البشرية، تتجلى وتتحدد فيها طريقة أنساقها القيمية ، المعتقدية ،المعرفية والجمالية، التي تُعبر عن نظرتها للوجود الاجتماعي والطبيعي، و إذا ما ميزنا الثقافة المادية بأنها حصيلة خبرات جماعة والتوصل إلى إنجازات تقنية وابتكار أدوات ومعدات متنوعة في تنفيذ حرفها ومهنها المتعددة، لإنتاج مُتطلباتها وسد حاجات معاشها؛ فضلاً عما تكيفه من وسائل توظفها في أغراض الزينة وإقامة الطقوس، أو الأنواع الفنية.

بل إذ ميزنا الثقافة غير المادية، أو غير الملموسة، بأنها حصيلة خبرات هي نفسها نوع من الممارسات ، القيم ،المعارف ، التصورات ،العادات و الأعراف، وتنظيمها من طرف مجموعة من العلاقات بين الأفراد والجماعة وبين الجماعة والجماعات الأخرى ، مع أشكال التعبيرات الجمالية والفنية المتنوعة. كل ما يتكامل فيه المادي وغير المادي، الملموس والمعنوي.

وعليه يبقى الواقع الميداني المعيش يُظهر إيلاء هذه " الثقافة " ، فتقسيم مكونات الموروث الثقافي و بشقيه من الجانب المادي و اللامادي على أساس أشياء مُجسدة في هيئة نُصب ومعالم ومُشخصات، أما المظاهر الأخرى ذات الجانب اللامادي من الوجدان و ما شبه فهي معنوية ، أو بالروح أحياناً أخرى. بحيث كل من هذين المكونين يعتبران مكملين للأخر، او عبارة عن تراكم ثقافي؛ و هنا نتحدث عن التراث الذي هو بمثابة كل شاهد في عصرنا الحاضر على هويّة الأمّة الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، وقد أسهب الكثير من الباحثين والمؤرخين في الحديث عن صورته ، بحيث يجب أن يتوفر هذا التراث على محيط ثقافي خاص يحيا فيه ويستمر وهو ما يمنح المجتمع تنوعا ثقافيا يرمز إلى الهوية .

نستهل بالحديث هنا عن الطقس كموروث ثقافي الذي يعمل عمل الرباط الاجتماعي ، وباعتبار " **طقس الاضحية** " شكل من اشكال الإرث الانساني ، فهي رمز من الرموز التي تتكرر كل عام في المجتمعات المسلمة و منها المجتمع الجزائري ، وعليه كان لزاما من حدوث او خلق العادات والتقاليد الراسخة في طريقة الاحتفال بهذه الشعيرة liturgie ، من ثم كان و اصبح الموروث الثقافي لهذه العادات بابا لترسيخ هذه الذكرى أو الحدث المؤسس لها، ولإدراك الواقع و بناء العلاقات مع الناس سواء أن اتفقنا مع بعضنا أم أن اختلفنا .

فنجد أن الذبيحة المتجسدة في "**الأضحية الاسلامية**" ، و التي استقاها المجتمع الاسلامي منه المجتمع المحلي عندنا من القصة الإبراهيمية؛ النبي ابراهيم مع ابنه إسماعيل ، حيث قول الله عزوجل: { ***وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) . }*** [6] .

نستنتج من خلال ما سبق أن الإسلام يقر بشعائرية "**الأضحية**" و هي بدورها تقر بأنها لازالت راسخة في الذاكرة الجماعية بإضفاء القداسة عليها ،لأنها تمثل امتداد و إعادة لقصة اسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام في الواقع ، وبالتالي فهي تعبر عن علاقة المسلم بربه المتمثلة في التقوى. فهذا القول متجسد حتى على أرض الواقع من ممارسات نجدها لدى الأفراد و هي راسخة في مخيالهم الديني بالتوارث من جيل للأخر، فجل المبحوثين اكدوا على هذه القصة من خلال التنشئة الإجتماعية للفرد منذ صغره تأتيه بالسرد و المحاكاة من الاولياء او الكبار او الاجداد، و جلهم اثبت مكانة هذا الرأسمال الرمزي الديني والثقافي في المجتمع ، كما ان الغرض من هذه الشعيرة هو جانب من جوانب الموروث الديني واهميته في المحافظة على الهوية الإسلامية وما له من أبعاد دينية من خلال الجانب الميثيMythique (الاسطوري) في توليد وتخليد الظواهر الدينية.

و عليه يعد واقع الممارسات الطقوسية في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الاخرى وسيلة نحقق بها النشاط اليومي لآسطرة الذاكرة وتحيين الموروث، وعليه كل ما يصاحب طقس " **الأضحية** " وفي جل المناسبات هو بمثابة غاية من الغايات ؛ بمعنى اخر أي كحاجة إجتماعية يحتاج لها الفرد في حياته ، ولا يمكنه الاستغناء عنها .

و بالعودة الى فكرة تقديم "**كبش الفداء le bouc émissaire** " كما يسميه "**رونيه جيرار**" فهو يعتبره "**رَغبَة خُلُقيّة**" **او** "**رغبة محاكية un désir mimétique**" مهمة في إحداث التكامل والتضامن الإجتماعي من: الأعراف، العادات، الطقوس والشعائر والمراسيم الدينية التي لها اسم و رموز خاصة بها [7] .

و في نفس السياق يمكن القول ان في ظل هذه الممارسات الطقوسيةُ نجد " **طقس الاضحية** " حاضراً و بقوة في معظم المناسبات بوجهٍ عام ، على سبيل الذكر : دخول منزل أو سكن جديد لأول مرة يجعل الفرد أو يلزمه على انه مجبر للقيام بنَحْرِ نوع من الاضاحي المعينة و المعروفة عند اصحاب المنطقة (أي حيوان كان كبشا ام دجاجة ام ديك) ، بل في نفس الوقت اننا نعيش أداء طقوسي مستمر و كل يوم يدخل ضمن ما هو ثقافي و في تحريرنا ، كنوع اللباسِ ، طريقة الاحتفال او التحضير للمناسبة او تأطيرها بل تفنينها .....و غيرها ، او مثل مناسبة "**العقيقة**" ؛ بمعنى الذبح الاجباري الأضحوي للمولود الجديد بالأخص ان كان جنس المولود ذكرا ، او ما يسمى بـ: "**السبوع**" في اللهجة العامية ، ولا ننسى **طقوس الزواج** ، و **عيد الاضحى** أو **عيد الكبير**و احياءه كل سنة، و بالتالي نحن نعيش في حلقة او دوامة من الطقوس مصاحبة لبعضها البعض و ليس طقس واحد فقط.

بمعنى اخر يعتبر **طقس الاضحية** من الممارسات المتجددة التي تتماشى مع الواقع الاجتماعي وتتغير بتغيراته ،فيكون هذا الحضور او ما يصاحبه من طقسنة السلوك مع كثرة الاحتفالات الدينية ،والأعياد المكرسة لتمجيد الآلهة مثلا :كالزرع وحرث الأرض؛ اي مناسبة معينة في السنة او ما شبه ، ما أدى بهذا العرف الشائع إلى حد ما في تقديم هذا الغذاء قرباني أو التضحية بشيء معين ، لكنه يتنوع بتنوع وإختلاف الثقافات والشعوب والأديان[8].

ولعل ما يجعل هذه دراسة أكثر تعقيداً هو هذا الجانب التنظيري لها ، كون أن الإحتفال بطقس الأضحية يأخذ طابع وألوان متعددة ،لانها بحد ذاتها شديدة التعقيد من حيث المظاهر والأبعاد. بل حتى الزوايا و الأضرحة لا تخلو من الاحتفال بذكرى و تمجيد كرامة الاولياء لها، حتى اننا نجد" الاضحية" موجودة و ملازمة لها ، حين تستمدّ دلالتها الرّمزيّة من قوّتها البلاغيّة في التعبير عن الجسد بوصفها اختزالا له.

و نضيف على ذلك انه ثمّة طائفة اخرى من الطقوس و الرّموز تخرج عن المصادر الحيوانيّة والإنسانيّة ؛ من هبة مقدمة او كل ما يتبع طقس الاضحية من ماكولات و مشروبات و ما شبه [9] .

و في ظل هذا نقدم بالتعريف على ما يكون قبلا من تقديم الاضاحي و القرابين بغرض التجنب من المخاطر والأذى والمصائب فتصبح مكملة لحمايتهم كحماية أنفسنا من منزل قبل الدخول فيه او السكن فيه للمرة الأولى؛ و هنا يتحدث "**ايدمون دوتي**" عن "**الأضحية**" و التي تتواجد في اماكن ومناسبات خاصة زمانية و مكانية في المجتمعات الجزائرية ، ففي ثقافة مجتمعنا تحضرنا في مناسبة كـ: " **الوعدة** " و و بالنحر (الذبح) أمام "الضريح" أو " الأولياء" و ما يتم من تقسيم الذبيحة كصدقة (اين يعتبرها البعض كصدقة ليست كغيرها من الصدقات)[10]، لهذا هنا في منطقة معسكر تقام بعض الوعدات للأولياء مثال : و عدة سيدي دحو ، سيدي قادة ، سيدي عبد القادر (مناور)،سيدي بن علي و .....غيرهم.

و نعود لما اوضحه الباحث "**عبد الله حمودي**" بدراسة له في المغرب متحدثا عن عشية **عيد الأضحى أو المسمى بعيد الكبير** ، عندما يتوضأ النساء والرجال ويلبسون الجديد من الثياب البيض ويذهبون للمصلى ويبدأ المصلون بالتسبيح والتكرار حتى يؤذن للصلاة ، من ثم يتبادلون التهاني والإستغفار و البر بالوالدين و الأجداد و عند الخروج من المصلى يدفعون للإمام "الشرضية" (وهنا ما يقصده "الصدقة" المقدمة في العيد او بمفهوم "الزيارة" عند سكان المجتمع المحلي لمدينة معسكر) ، كفرض ويذهبون لتناول الفضور (أي الفطور الصباح) ، كما أنهن يزين الذبيحة قبلا بتكحيل جفنها كما يكحل في التقليد الإسلامي الأجفان يوم الجمعة إقتداءا بالنبي (صل الله عليه و سلم) واثناء الذبح تقدم للذبيحة لقمة من مزيج الحناء والخميرة والشعير ليبلغها الخروف لحظة نحرة [11].

اما في عادات و تقاليد اناس منطقة معسكر، تشترى الذبيحة(التي هي عند العامة تعتبر كبش نسبة للتجسيد الابراهيمي رغم انها من الممكن ان تكون او مقصود منها أي حيوان اخر) بأيام وربما بشهور واسابيع لتدل على إضفاء جو القداسة على الذبيحة قبل ان يقدم على ذبحها ، وفي وليمة اخرى تشترى في عاشوراء و المولد النبوي. و بالتالي هذه المناسبات تتبعها بعض الطقوس او التجهيزات المادية سواء كانت مرتبطة بما هو ديني أو غير ديني (رسمي أوغير رسمي) ، لهذا نجد انها ترافقها بعض المأكولات الشعبية في عدة مناسبات مثال على ذلك وأشهرها : "بركوكس" ، "الكسكس أو الطعام"،"الرفّاقّ"... و غيرها. كل هذا لا غيره يعتبر نوع من الممارسات التي ترافق هذا الطقس فقط لتخلق جبروتا من الطقوس المؤسسة لثقافة المجتمع المحلي.

الخاتمة:

وختاما وما يمكن قوله واستنتاجه ان جل الممارسات الطقوسية تتربع في "**عرش الثقافة**" و تعمل عملها مع الطقوس ، منه طقس الأضحية كنموذج في ثبات المجتمع والتمسك بالهوية المحلية وحتى الدينية، كما أنها تعطي قيمة مهمة من خلال التلاحم والتضامن الإجتماعي كصفة للجماعة عن طريق الشعور الجمعي؛ أي لها عملية ووظيفة الإنتاج وإعادة الإنتاج في جل المناسبات و الأعياد الدينية. إن هذه الطقوس تبني في الحقيقة العلاقات بين الافراد في

المجتمع ، فلا طقس بدون فعل أو تصرف رمزي، ببساطة لأنه يأخذ ألوان ثقافية متعددة في المجتمع ، تضمن صلة الأفراد فيها بينهم، كما أنه يعطي صلة بالحياة ونظام العام داخل المجتمع .

كما أن في العديد من المناسبات الثقافية تبقى تستحق الاهتمام ويتجسّد هذا في الاهتمام بالممارسات العملية الحقيقية ، تبدعه الجماعات بصورة مستمرّة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، و ينتقل من جيل الى جيل ، وهو ينمّي لديها الإحساس بهويّتها والشعور بإستمراريتها ويعزّز من ثمّ احترام التنوّع الثقافي والقدرة الإبداعيّة البشريّة. ويمكن أن نستخلص ان كل هذا يتجسد في الفنون بما فيها التقاليد، أشكال التعابير الشفاهية، واللّغة باعتبارها واسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادّي. فالتاريخ والحضارة، والتراث الثقافي نقطة أساسية من نقاط هذه الشخصية.

كما ان الذاكرة الجماعيّة هي الجهاز الجبّار الّذي يؤمّن هذه العمليّة المتواترة بما يحفظها من التآكل و الإضمحلال، و لعلّ من أهمّها الرّموز بمختلف تصنيفاتها. إنّما تعيد الذاكرة الجماعية لتركيبها وصياغتها لأنّ رهاناتها تتعلّق بتشكيل الهويّة في الحاضر.

و طقس " **الاضحية** " يقوم على هذه العملية مع مجموعة من الشعائر لها وظائف تؤمن إستقراره، وبالتالي استقرار و توازن المجتمع ، و هنا نذكر في هذا السياق الموروث الثقافي ، لأنه انبثق من التقليد ومن احياء القصة الابراهمية ، او بناء الروابط الاجتماعية من ممارسات تؤدي بدورها الى تساند وظيفي بين الأدوار، وعليه رغم ما نعيشه من تغيرات إجتماعية وتحولات في المجتمع الجزائري بصفة عامة وأفراد منطقة معسكر بصفة خاصة، لها دور فعال في تحيين عرش ثقافتها داخل دوامة من الطقوس مصاحبة لها : منه تحيين الرموز، اللغة و تفاعل الأفراد ؛ و لولها لما عرف المجتمع انتقالاً وتوارثاً عبر المجتمعات الإنسانية.

الهوامش:

[1] Larousse, P., & Paul, A. (1977). petit Larousse illustré. (1 ed), Paris: librairie la rousse . p:900.

[2] Jean Caze neuve .(1958) .*Les Rites et la condition humaine* (1 ed): PUF. P : 50.

[3] Boudon, R. (2005). *Dictionnaire De Sociologie.* (1 ed.) Parie: Extenso, In. P : 208.

[4] اليوت ت. (2001). *ملاحظات نحو تعريف الثقافة*. (ط1). تر: شكري محمد عياد. مصر: مكتبة الاسرة . ص : 09 .

[5] زرواتي، رشيد. (2002). *تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية* (ط 1). المسيلة -الجزائر- : جامعة محمدبوضياف. ص:149.

[6] *القران الكريم ، سورة الصافات.*

[7] رونيه جيرار. (2009). *العنف و المقدس* (ط 1). تر: سميرة ريشا. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية . ص: 07 .

[8] Tremblay, M. (1929). "Henri Hubert et Marcel Mauss(1899) «Essai sur la nature et la fonction du sacrifice". (2 ed). Parie : *Revues D'histoire des religions , tome II*, pp. 32 - 29.

[9] Maquet, C. (1936). *Dictionnaire Analogique.* (1 ed) Parie: librairie Larousse. P : 316 .

[10] Douté, E. (1909). *La Société Musulmane du Maghreb : Magie et Religions, l'Afrique du Nord* . Alger: Typographie Adolphe Jourdan.p :487 .

[11] حمودي عبد الله. (2010). *الضحية و أقنعتها: بحث في الذبيحة و المسخرة بالمغارب* . (ط 1). الدارالبيضاء - المغرب - : دار توبقال.ص: 73- 76 .